Rihan Journal for Scientific Publishing
مجلة ريحان للنشر العلمي
Issue 57, V.2 (2025)
ISSN:2709-2097
28-3-2025, PP 138:162
www.rjsp.org
العدد السابع والخمسون

دِلَالةُ أثرِ المَحْذُوْفِ والمُسْتَبْدَلِ في دِيوانِ ابنِ الدمَيْنَةِ أَنْمُوْذَجاً

The Sematic Impact of Ellipsis and Substitution in the Diwan Ibn Al-Daminah -Acase Study

محمَّد حُسَيْن مُوسى

جامعة الجنان–لبنان –طرابلس–كُلِّيَّة الآداب والعلوم الإنسانيَّة

Mosamohamd190@gmail.com

المُلَخَّصُ:

يَسْتَهْدِفُ هذا البحثُ تطبيقَ بعضِ مواضعِ الحذفِ والاستبدالِ مَعَ بَيَانِ الأثرِ الدِلاليِّ لكُلٍّ مِنْهَا على نماذجَ مُعَيَّنةٍ وَرَدَتْ فِيْ ديوانِ ابنِ الدمينةِ، وذلكَ وِفْقَ دِرَاسَـةٍ مَنْهَجِيَّةٍ قائمةٍ عَلَى قَوَاعد عِلمِ اللُّغةِ الحديثِ. وَقَدْ سار مَنْهجُ الدراسةِ ضِـمْنَ مَبْحَثَيْنِ سبقتْهُما مُقَدِّمَةٌ، ثُمَّ تَلَتْهُمَا خُلاصـةٌ بِأَهَمِّ النتائجِ وقائمةٌ بالمصـــادر والمراجع، إذ تناولَ المَبْحَث الأوَّل (الأثر الدِلاليّ للمحذوفِ في دِيوانِ ابنِ الدمينةِ)، بينما الثَّاني تَمَثَّل بـ(الأثر الدِلاليِّ للمُسْتَبْدَل في ديوانِ ابنِ الدمينةِ). ولتحقيقِ هَدَفِ الدراسةِ فقدِ اسـتخدمَ الباحثُ المنهجَ الوصـفيَّ التحليليَّ مَعَ التعريجِ قَليلاً عَلَى المنهجِ الإحصـائيِّ. وَقَدْ أَوْضَحَتْ نتائج الدراسةِ أنَّ البُنى التَركِيبيَّة المُشْتَمِلَة على الظواهرِ الآنفةِ قَدْ هَيْمَنَتْ بشَكْلٍ كبيرٍ عَلَى الأبياتِ المُتَناولةِ للدراسـة، ومِنْ ثَمَّ يمكنُ تعميمُها على جميع أبيات المُدَوَّنَة، مع وجود تَفَاوتٍ بينَ العناصر المُوَظَّفةِ، وهيمنة بعضها على الآخر مِنْ خلالِ الأثر الذي تُحَقِّقُه في السياق.

الكلمات المفتاحية: مفهوم الحذف–أنواع المَحْذُوف–مفهوم الاستبدال–أنواع المُسْتَبْدَل

Abstract

This research aims to apply certain instances of omission and substitution, highlighting their semantic impact on specific examples found in the poetry collection of Ibn Al-Daminah. The study follows a systematic methodology based on the principles of modern linguistics.

The study is structured into two main sections preceded by an introduction and followed by a conclusion summarizing the key findings, along with a list of sources and references. The first section discusses "The Semantic Impact of Omission in the Poetry Collection of Ibn Al-Daminah," while the second focuses on "The Semantic Impact of Substitution in the Poetry Collection of Ibn Al-Daminah".

To achieve the study's objectives, the researcher employed a descriptive-analytical approach, with occasional reference to statistical methods. The findings revealed that syntactic structures involving the aforementioned phenomena significantly dominated the studied verses. These structures could potentially be generalized across the entire poetic corpus, with varying degrees of emphasis on the employed elements. Some elements exhibited greater prominence than others due to their specific semantic contributions within the context.

مُقَدّمَة:

يُعَدُّ أسلوبُ التعبير اللُّغويِّ إحدى طرقِ ذلك التواصل، وقد يكون التعبير اللُّغويُّ في مواقفَ خاصَّةٍ قد لا تَسَعُ كثيراً، حينئذٍ يَعْمُدُ المُتَكَلِّمُ إلى الاختصار في التعبير عَبْرَ الحذف أو رُبَّما إلى استبدالِ عُنْصُرٍ بعنصرٍ يُؤَدِّي مَفَاده بالشكل المطلوب.

ونظراً لميلِ اللُّغات إلى الحذف والاستبدال، رغبةً في الاختصار أو إبعاد القارئ عَنِ الملل ورُبَّما تشويقه، فأصبحتْ هاتان الظاهرتان "الحذف والاستبدال" مُرْتكزاً أساسيَّاً في فِهْمِ الكلام القائمِ عليهما؛ لأنَّ المُتَلَقِّي عندما يقرأُ الكلامَ الَّذي أمامه ينتابُهُ إدراكٌ في تَقَصِّي الدورِ الذي يعلبُهُ كُلٌّ منهما لذا لَقِيَا اهتماماً كبيراً مِنَ النحويينَ والبلاغيين قُدامى ومُحْدثينَ، إذ استدعى مِنَّا الاستفاضة في تحليل العيِّنات لنبيِّنَ أثر تلك الدلالات التي أدَّتْها الأنواع المحذوفة والمُسْتَبْدَلة بحسب السياقِ الذي جاءتْ في ثناياه، لِنَصِلَ بعدها بصورةٍ مُثْلَى إلى تَلاحُمِ النصَّ المطلوب فهمه.

وتأتي مُشْكِلَةُ الدراسة وأهميَّتُها وفقَ مجموعةٍ مِنَ الأسئلة يطرحها البحث، فَمِنْ أبرزِ تلكَ التساؤلاتِ:

ـــــ هل بإمكاننا أَنْ نُسْقِطَ ظواهرَ لسانيّة مُسْتَحْدَثَةً على نصٍّ شعريٍّ قديمٍ غنيٍّ امتاز بالفصاحةِ والبيانِ؟ وإذا كانَ ذلكَ فلماذا يتَّجِهُ الأدباء عموماً والشعراء خصوصاً في توظيفها في أشعارهم كابن الدمينة مثلاً ؟ ثُمَّ ما الدَّاعي الذي سبَّبَ انتقاءَ هذهِ الأبيات دونَ غيرِها وتوْظِيفِهَا للدراسة؟ وبالمقابل كيفَ يَظْهَرُ أثرُ المحذوفِ والمُسْتَبْدَل في الأبيات الشعريَّة، وهلْ مِنْ نقطةٍ جامعةٍ بينهما ؟ ما علاقةُ أثر المحذوف والمُسْتَبْدَلِ مِنَ الناحية الدلاليَّة فيما يعانيه الشاعر في نفسه أثناء تقديم الفكرة التي يُرِيدُ إيصالها للمُتَلَقِّي ؟ هل تُسْهِمُ العناصرُ المحذوفة في كشْفِ النقابِ عَنِ البُنى العميقة الواردة ضمن التحليل؟ هل باستطاعتنا أَنْ نُبَرْهِنَ كلامنا بإدراجِ نظامٍ جدوليٍّ يضمنُ السلامةَ والفهمَ العميقَ لأبيات التحليل؟ هل بالإمكانِ أَنْ تُعَدَّ العناصرُ المُسْتَبْدَلةُ في تفسير بعض المفردات الغامضة، ثُمَّ ما الشيءُ الذي تتميَّزُ بِهِ حينَ عَمَلِيَّةِ الاستبدال؟

بماذا تختلفُ ظاهرةُ المحذوف عنِ الظاهرةِ الإستبداليَّة؟ لماذا يجنحُ الشاعر مَرَّةً إلى الإستبدال ثُمَّ يعدلُ إلى الحذف؟

أمّا بالنسبة لأهدافِ البحثِ وأهميَّتِهِ، فَقَدْ جَاءتْ لِتبيَّنَ:

ـ التصوُّرَ الكُلِّي لإدراكِ تلك الظواهرِ المُوَظَّفَةِ في أبياتِ الديوان، بالإضافة إلى بيانِ أثرِ المحذوفِ في تسليطِ الضوءِ عَلَى العناصرِ التي حُذِفَتْ وبيان سبب حذفها، مع تقديم أشكالٍ بعينها مِنْ كُلِّ ظاهرة لا بُدَّ أَنْ تشيرَ إلى الفكرِ اللُّغويِّ الّذي يَتَّسِمُ بِهِ الشاعر في ذلكَ العصرِ.

– بيانَ الحالة النفسيَّة التي يعيشها ابنُ الدُّمينة في حياته وخصوصاً بعدَ فِراقِ المَحْبُوبَة وإسقاطها على نصوصه، و كَشْف اللّثام عَنْ عَلاقةِ المعنى بمستويات اللُّغة النحويَّة والبلاغيَّة والمُعْجَمِيَّة ثُمَّ تقديمها بطريقةٍ إشاريَّةٍ مِنْ خِلالِ نِظَامِ الجَدْوَلَة الّذي يَفْتَحُ الباب أمامَ النصوصِ القديمة ليتمَّ تحويلها إلى نظامٍ يقومُ على التغيير بينَ المُفردات مِنْ جهةٍ، وفحصها بالشكلِ الدقيقِ وإعادة تشكيلها مِنْ جديدٍ.

ـ إظهار دور كُلِّ ظاهرةٍ وتوظيفها بالشكل المُعْتَاد، ثُمَّ تمايزها عَنْ غيرِها في الاستعمال اللُّغويِّ وِفْقَ السياق مَعَ إمكانيَّة الجمعِ بينَ الظاهرتينِ، والمحاولة الجادَّة في جعلِ نماذج التحليل وسيلةً للعبور إلى تفتُّق المعاني الّتي تطرحُها قريحةُ الشاعر.

ـــ محاولة ابن الدُّمينة في المحاولةِ في الاستزادة مِنْ طَرْحِ أفكار قَدْ تَغَافلَ الدَّارسُونَ عنها أثناء تَذَوّقِهِم الشعر القديم وخصوصاً الشعراء الَّذينَ سَبقوه، وتحديداً تلكَ المعاني المُسْتَنْبَطَة مِنْ فَحْوَى الأبيات المُحَلَّلة.

. وأمَّا فيما يخصُّ منهج الدراسة، فقد تمَّ توظيف المنهجِ الوصفيِّ بأدواته التحليليَّة والاستقرائيَّة، مَعَ التعريجِ قليلاً إلى الأخذِ بالمنهجِ الإحصائيِّ البيانيِّ.

ـــ وقد تطلَّبت منَّا طبيعةُ البحث أنْ نَسْتَقْصِيَ عَنْ خُصُوصيَّةِ هذا النوع في دراساتٍ سابقةٍ، وبعدَ الاطلاع فلمْ نعثرْ على دراسةٍ جاءتْ بِهَذِهِ الشاكلةِ تماماً وإنَّما وردتْ بشكلٍ مُشَابِهٍ، فَمَثَلاً نَذْكُرُ مِنْهَا:" داود، لميس عبد العزيز(1428هـ– 2008م). **شعر ابن الدمينة(دارسة تحليليَّة)**. رسالة ماجستير، بإشراف: سميرة سلامي، كليَّة الآداب العلوم الإنسانيَّة– جامعة دمشق. وهناك دارسةٌ أُخرى لـــــ:" محمَّد بعبت، ولاء أبو المعاطي (1441هـ– 2020م). الغزل بين قيس بن ذريح وابن الدمينة(دارسة فنيَّة تحليليَّة). رسالة ماجستير، بإشراف: أحمد حسين عبد الحليم سهفان، جامعة المنصورة . بالإضافة إلى الدَّراسات التي تخدمُ الظواهر المُوَظَّفة في التحليل، فمثلاً:

ـــــ محمود، مرشد أحمد سعيد(1990م). **الحذف والتقدير في القرآن الكريم**. مُذَكَّرةٌ لنيل شهادةِ الدكتوراه في اللُّغة العربيَّة، الجامعة الإسلاميّة بهاول بور. وأيضاً : أحمد عصبة، عبدالله علي (2023م)." **الاستبدال ودلالاته في شعر إبراهيم الحضراني(دارسةٌ نصيَّةٌ)**. مجلة الباحث الجامعي للعلوم الإنسانية، العدد51، 30 سبتمبر.

وأخيراً نشير إلى أنَّ خطَّةَ البحث تَوَزَّعتْ على جانبين، أوّلِهمَا" الأثر الدِلاليّ للمحذوف في ديوان ابنِ الدُمينةِ، وثانِيْهِمَا وُسِمَ بـــــــ(الأثر الدِلاليّ للمُسْتَبْدَل في ديوان ابن الدمينة)، ومِنْ ثَمَّ الخاتمة والتوصيات.

المَبْحَثُ الأَوَّلُ:

" الأثرُ الدِلاليُّ لِلمحذوفِ في دِيْوَانِ ابنِ الدُمَينَةِ".

فالحذفُ في اللُّغَةِ: هُوَ القطعُ والإسقاطُ، كما وردَ في الصحاح: حَذْفُ الشيء: إسقاطه. يُقَالُ: حذفْتُ مِنْ شَعْري وَمن ذَنَبِ الدابَّة، أَيْ أَخَذْتُ منه ...، إذا ضربتَه فقطعتَ منه قِطْعَةً[1]. و" حَذَفَ الشيءَ يحذفُه حَذْفاً أَيْ قَطَعَه مِنْ طَرَفِهِ والحَجَّامُ يحذفُ الشعْر مِنْ ذلك... والحذفُ الرَّمْيُ عن جانبٍ"[2]. أمَّا **في الاصطلاح** فيظهرُ عند مُحَاولَتِنَا البحثَ عَنْ دلالة مصطلح الحذف عند علماء العربيَّة نجد أَنَّ القدماء اهتمُّوا بدراسة هذهِ الظاهرةِ اللُّغويَّةِ، لَكِنَّ بعضهم خَلَطَ بينَ الحذف والإضمار؛ ولذلك قَالَ أبو حيَّان: وَهُوَ موجودٌ في اصطلاحِ النحويِّينَ، أَعْنِي أَنْ يُسَمَّى الحذفُ إضماراً[3]. وعليه فالحذف" هُوَ إسقاطُ جزءٍ مِنَ الكلام أَوْ كُلّه لدليلٍ وزاد النحويُّون فقالوا أو لغير ذلك"[4]. ويمكنُ أَنْ نَعُدَّ المعنى الزائد عَنِ الألفاظ أكبرَ دليلٍ على وجود الحذف. وذهب الشهاب الخفاجيُّ في تعريفه لهذا النوع بأنَّه: " قد يُسْتَعْمَلُ كُلٌّ منهما بمعنى الآخر كَمَا يُعْلَمُ بالاستقراء". وَقَدْ تَحَدَّثَ سيبويه عَنِ القرائن، ومهمَّتِها في إباحة الحذف، في أكثر مِنْ بابٍ في كتابه[5].

وعَرَّفَه الجُرْجَانيُّ بقوله: " هُوَ بابٌ دقيقُ المسلك، لطيفُ المأخذ، عجيبُ الأمر شبيهٌ بالسحر؛ فإنَّك تَرَى به تَرْكَ الذكرِ أَفْصَحُ مِنَ الذكر، والصمت عَنِ الإفادة أزيدُ للإفادة، وتَجِدُكَ أنطقُ ما تكون إذا لم تنطق، وأَتَمُّ ما تكون بياناً إذا لم تَبِنْ"[6]. فالجرجانيُّ في هذا التعريف لم يُشِرْ إلى المعنى اللُّغويِّ للحذف بل أعطاه معنىً بلاغيًّاً، وأشار إلى الجمالِ الذي يريدُهُ الحذفُ في التراكيب اللُّغويَّة وتطرَّق إلى جمالِهِ وروعة سِحْرِه، وغرابةِ أمره إذ إنَّك تجدُ المعنى رُغْمَ أَنَّكَ لا تَجِدُ اللَّفظَ الذي يَدُلُّ عليه.

---

1 الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حمّاد(1974م). **الصِحاح تاج اللغة وصحاح العربية**.(د. ط). إعداد: نديم مرعشلي، وأسامة مرعشلي. لبنان– بيروت: دار الحضارة العربيَّة، ج1، صـ 120.

2 ابن منظور، محمّد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين. **لسان العرب**. إعداد: يوسف خياط، ونديم مرعشلي، لبنان– بيروت: دار المعارف. ج9، صـ 40. مادة(حذف).

3 الأندلسيّ، أبو حيّان، (2002م). **البحر المحيط**. ط(1). تح: عبد الرزاق المهدي، بيروت: دار إحياء التراث العربيّ، صـ 643.

4 الزركشي، بدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر. **البرهان في علوم القرآن**. بيروت : المكتبة العصريَّة ، ج3، صـ 102.

5 يُنْظَرُ: سيبويه، (1988م). ط(3). **الكتاب**. تح: عبدالسلام هارون ، القاهرة: مكتبة الخانجي،ج1، ص 253– 260، والأبواب هي:

أ. حذف الفعل في الأمر والنهي ج1، ص253. ب. حذف الفعل في غير الأمر والنهي، ج1، ص257. ج. حذف الفعل وحرف، ج1، ص 258.

6 الجرجاني، عبد القاهر. **دلائل الإعجاز**. الناشر: مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، مج 1، صـ 121.

وهذا ابن هشـــام يقول عَنِ الحذف:" إذا دارَ الأمرُ بينَ كونِ المحذوف أوّلاً أَوْ ثانياً فكونه ثانياً أَوْلَى"[7].

لَكنَّ بعضهم تَنَبَّه إلى ضرورة التفريق بينَ الحذف والإضمار؛ ومِنْ ذلك الفارسيّ حيثُ يقولُ: "وَقَدْ يُحْذَفُ حرفُ الجَرِّ، فَيَصِلُ الفعلُ إلى الاِسم المحذوفِ بِهِ، وذلك نحو: اللهَ لأفعلنَّ، وربَّما أُضْمِرَ حرفُ الجَرِّ، فَقِيْلَ: اللهِ لأفعلنَّ. ويذكرُ البلاغيُّون ضـرورةَ تقديرِ المحذوف؛ حتَّى لا يُحْمَلُ الكلامُ على ظاهره، وحتَّى يكونَ امتناعُ تركِ الكلام على ظاهره، ولُزومُ الحكم بالحذف راجعٌ إلى الكلام نفسه، لا إلى غرضِ المُتَكَلِّم[8].

وَلَمْ يَسْـتَعْمِلِ العربُ الحذف دون قيدٍ أو شَـرْطٍ، بل قَيَّدوه في كثيرٍ مِنَ المواضـعِ بأمنِ اللَّبس، ووضوح المعنى، وشَمَل الحذف جميعَ مستوياتِ الدرس اللُّغويِّ، فوقعَ في الأصوات اللُّغويَّة، وفي الصيغ الصرفيَّة، والتراكيب النحويَّة، كمَا تعَدَّدَتْ مواضعُه، وأسبابُه، وأغراضُه. وأضافَ ابنُ هشام شـــروطاً أخرى للحذف، أجملها في ثمانية، منها: وجود دليلٍ إحاليٍّ.... أو مقاليٍّ... أو صناعيٍّ....[9]، وتَطَرَّقَ الزركشي لهذه القضية وأفاد أنَّه مِنْ شروط الحذف أَنْ تكونَ في المذكور دلالةٌ على المحذوف إمَّا مِنْ لَفْظِهِ أو مِنْ سِيَاقِه، وإنْ لَمْ يتمكَّنْ مِنْ معرفتِهِ، فَصِيْرَ اللَّفظ مُخِلّاً بالفهم....، وهو معنى قولهم" لا بدَّ أَنْ تَكُونَ فيما أبقى دليلٌ على مَا أُلْقِيَ ، وتلك الدلالة مَقَالِيَّةٌ وحالِيَّةٌ"[10].

أمَّا في الدراسات النصيَّة فيعدُّ الحذفُ هو إحدى الظواهر النصيَّة، وهو لا يختلف عمَّا جاء به العرب سابقاً، إذ " إنَّ الطريقة التي يُقَدِّمُها النحو العربي، وما يسميه التحويليّون بقواعد الحذف الإجباري شبيهةٌ بما سمَّاه نحاةُ العرب القدماء بالحذف الواجب، إذ لا تكون الجملةُ صحيحةً نَحْوِيَّاً إذا ظهَرَ المحذوف المُقَدَّر في الكلام"[11]. وللحذفِ دورٌ كبيرٌ في اتِّساق النَّصِّ وترابطه، فـــ(هاليدي ورقيَّة حسن) عرَّفا الحذف بأنَّه" علاقةٌ داخل النّصِّ، وفي معظم الأمثلة يوجدُ العنصرُ المُفْتَرَضُ في

---

7 ابن هشام الأنصاريّ، جمال الدين(2001م). **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**. بيروت: دار إحياء التراث العربيّ، ج2، ص 163.

8 الجرجانيّ، عبد القاهر. **أسرار البلاغة**. قرأه وعلَّق عليه: محمود محمَّد شاكر، القاهرة : مطبعة المدني ، جدَّة: دار المدني، ج1، صـ 379- 380.

9 ابن هشام الأنصاريّ. **مغني اللَّبيب**. ج2 ، ص163.

10 الزركشي، بدر الدين محمَّد بن عبدالله (1958م). **البرهان في علوم القرآن**. ط(1). تح: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيَّة- عيسى البابيّ الحلبيّ وشركاؤه ، ج3 ، ص111-112.

11 حَمُّودة، طاهر سليمان(1998م). **ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي**. (د. ط). الدار الجامعيَّة لطباعة والنشر والتوزيع، ص 14.

النَّصِّ السابقِ وهذا يعني أنَّ الحذف عادةً علاقةٌ قبليَّةٌ"[12]. وبحسب ماْ سَبَقَ فإنَّ الحذف له دورٌ في انسجامِ النَّصِّ، ويظهرُ ذلكَ الدور بحسب تقديرِ المحذوفِ، وهذا ما سَيَتُمُّ إظهاره أثناء تطبيقنا على ثُلَّةٍ مِنَ النماذجِ المُخْتَارةِ مِنَ الديوان. فَمِنْ تِلْكَ الأنواع:

أ- المحذوف الإسميّ:

ويُعْنَى بالحذف داخل المجموعةِ الاسميَّة، إذ يقعُ حذف الاسم بعد العنصر الإشاريِّ أو العدديِّ أو النعتِ، فقد يُحذفُ(المبتدأ، والخبر، والفاعل، والمفعول به، والمجرور بحرف الجر، والمضـــاف إليه)[13]. وبتعبيرٍ آخر يمكن أَنْ نقولَ: إنَّ كُلَّ مجموعةٍ اسميَّةٍ تَتَكَوَّنُ مِنْ نَوَاةٍ رئيسـةٍ وتابعٍ واحدٍ أَوْ عِدَّةِ توابع. والتوابع إمَّا تَسْبِقُ النواة أو تليها، ويُحْذَفُ الاسمُ في الجُمْلَةِ إذا جاءتْ عناصرُ أُخرى مواقع النواة.[14]

فبَعْدَ أَنْ بينَّا هذا المفهوم نَظَرِيَّاً كَانَ ينبغي علينا أَنْ نَلْتَمِسَ أَثَرَهُ في بعض المواضع التي وَرَدَ فيها هذا المحذوف باختلاف أشكاله وغايةِ حذفه. فَمِنْ أمثلة هذا النوع كما جاء في المُدَوَّنة قوله:

وإنِّي لأستحييكِ حتَّى كَأنَّما عَلَيَّ بِظَهْرِ الغيبِ مِنْكِ رَقِيْبُ[15]

إنَّ الناظرَ لمفرداتِ البيتِ يَجِدُ ابنَ الدمينة قد باتَ يَصِـفُ حالةً غيابيَّةً بينه وبينَ المحبوبة، إذْ يستدعي وجودَها أمامَه مَعَ أنَّها في الحقيقةِ لَمْ تُفَارِقْ عَقْلَه حتَّى بَدَتْ كأنَّها أمام عينيه مُخَاطباً إيَّاها بقوله: إنِّي لأخجلُ مِنْكِ فِي كُلِّ شيءٍ حتَّى في الحديث عنكِ بسُوْءٍ، سَواءٌ أكنتِ حاضرةً أو غائبةً أو رُبَّما بمجرَّدِ النظرِ إليكِ؛ لأنَّ الحبيب إذا أَحَبَّ أَقْفَلَ قَلْبَه لَكِ وعلَّقَ صَمِيْمَه فيكِ لِذَا لَا يُمْكِنُ أَنْ أَتَكَلَّمَ عَنْكِ أَوْ أَنْظُرَ إليكِ نَظْرَة سوءٍ أو بأسٍ، أَوْ أُحَاول أَنْ أُحْدِثَ أَيَّ فِعْلٍ غيرِ أخلاقيٍّ لا ترضينَ به.

وعندَ قراءة هذا البيتِ نَجِدُ فيه ظاهرةً لُغَوِيّةً وُسِمَتْ بالمحذوفِ الإسميِّ، وَقَدْ تمثَّل بـــــ**(كأنَّما عَلَيَّ بظهرِ الغيبِ منْكِ رقيبُ)**. فإذا أَردنا أَنْ نُحَلِلَ التركيب مِن جانبٍ نحويٍّ فنرى أنَّه مُكَوَّنٌ مِنْ حرفٍ مكفوفٍ وكاف تجسّدَ (كأنَّما)، ثُمَّ تَلَاه جَارٌ و مجرورٌ (عليَّ)، بالإضافة إلى مُتَمِمات القول مِنْ شبهِ

---

12 خَطَّابي، محمَّد(2006م). **لسانيَّات النصّ" مدخل إلى انسجام النَّصّ"**. ط(2). المغرب: الدار البيضاء- المركز الثقافي العربي، ص 21.

13 يُنْظَرُ: محمَّد، عَزَّة شبل (2009م). **عِلْمُ لُغَةِ النَّصّ" النظريَّة والتطبيق**. (د. ط). الناشر: مكتبة الآداب، ص 118.

14 شكوه، آذر نژاد(1385هـ). **دِراسةُ مفهوم الانسجام المُعْجَمِيّ في القرآن الكريم**. أطروحةٌ لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة پيام نور ، صـ 37.

15 ابن الدُّمينة (1336هـ). **ديوان عبدالله ابن الدُّمينة**.(د. ط). شرحه وضبطه السيد محمَّد الهاشمي البغدادي، طبع بنفقته ونفقة محيي الدِّين رضا، مصر: مطبعة المنار، ص10.

الجُمْلةِ(بظهر الغيب + منك) إلى أَنْ نَصِلَ إلى (رقيب)، وهذه المفردات تُشَكِّلُ مُرَكَّباً اسميَّاً، فحتَّى يَكْتَمِلَ هذا المُكَوِّن ينبغي علينا أَنْ نرصدَ أطرافه المُرْتَكِزِ عليها.

فالمبتدأ (رقيبُ) وَرَدَ مُتَأَخِّراً لغايةٍ بلاغيَّةٍ دلَّتْ عَلَى التشويق المُبَالَغِ فيه تجاه المحبوبة ناهيكَ على حالةِ الترقّبِ والانتظارِ، أَمَّا الخبرُ فَقَدْ تَقَدّمَ وَأَخَذَ حَيِّزاً مِنَ الصدارة اللَّفظيَّة، إذْ بَانَ بأنَه قَدْ حُذِفَ ولم يبقَ مِنْ رائحتِهِ سوَى الجَار والمجرور المرموز له بـــــ(عليَّ)، ومِنْ قبيلِ الاعتقادِ أَنَّ سببَ الحَذف يعودُ إلى تقديرِ المحذوفِ بِـــــ(موجود أو كائن). فتمَّ حَذْفُ الخبر على المَجَاز، يقولُ أبو عُبيدة:" مجازُهُ مجازُ المكفوفِ عَنْ خَبَرِهِ، والعربُ تَفْعَلُ ذلكَ في كَلَامِهَا[16] فَحَذْفُ الخبرِ قائمٌ علَى الإيجاز وبذلك يكونُ منعاً للتكرار.

وقدْ كانتْ مِنْ عادة العرب عامَّةً والأدباء خاصَّة أَنْ يَنْهَجُوا هذا النهج في أسلوبِهِم الكلاميِّ، وغاية ذلكَ يرجعُ إلى" إيجاز المعنى واختصار الكلام اللَّفظيِّ". فالكثيرُ مِنْ أنواع الحذف الحاصلة في النظام الجُمَليِّ تكونُ ناتجةً عَنْ رغبةِ المُتَكَلِّم في الاختصار والإيجاز. ويذكرُ البلاغيُّون أغراضاً مُتَعَدِّدَةً لذلك تظهر مِنْ خِلالِ المَوْقِفِ الشِّعريِّ، إذ نحاول أَنْ نَتَعَرَّضَ لبعضها مِنْ خلال النماذج المُقدَّمة للطرحِ والمُنَاقَشَة، لكنَّهم يرونَ أَنَّ أغراض الحذف تعودُ بمجملها إلى قصديَّة الشاعر حينَ يُحْذَفُ.

وإنَّنا في هذا البيت نشارك القارئ في إيجادِ سببِ وُقُوعِ الحذفِ حيثُ كانَ مرجعُه لحالةِ الشاعرِ الحزينةِ الَّتي تُسَبِّبُ له ضيقَ المقام، وخصوصاً عندما يحاول أَنْ يُبْرِزَ شوقه لمحبوبته، وكذلك حينَ يرغبُ في وُصُولِ كَلامِهِ لها رُغْمَ بعدِها؛ لذا يُسْتَجْلَبُ هيئتها أمامه حتَّى لَوْ كانتْ تلكَ الهيئة مُجَرَّد طيفٍ يخَاطِبُه؛ لِذَا اعتمدَ على سياسة الحذف بكونه أسلوباً مُتَدَاولاً عندَ القدامى، بالإضافةِ إلى إقحام نفسه المُتَعَطِشّة لرؤيةِ مَنْ أحبَّ.

وعليه فإنَّ المحذوفَ يدعوَ المُتَلَقِّي إلى إدراك دلالاتٍ منها؛ الإيجاز والاحتراز مِنَ العبثِ، وهذا الأمرُ مَا أشارَ إليه العسكريُّ بقوله: تُحْذَفُ الكلمةُ لِمَجَرَّدِ قصدِ الاختصار وعدم تطويل الكلام، والاحتراز عن فضوله، وهذا إذا كان في ذكر المحذوف إنقاصاً لقيمة الكلام البلاغيَّة[17]، وأيضاً حالة الحزن الممزوجةِ بالشوق الذي يستدعي الإسراع في بَثِّ القول للإخبار عَمَّا وَصَلَتْ إليه حالته نتيجة البُعْدِ، وقد يكون لضيق الوقت رغبةً في تعجيل النطق بالأمر الأهمِّ المُهِمِّ، وكذلك وقد يكون

---

16 ، أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي البصريّ(1381هـ). **مجاز القرآن** . تح: حمد فؤاد سزكين، القاهرة: مكتبة الخانجي ، ج1، ص334،333.

17 العسكري، أبو هلال(1419هـ). **كتاب الصناعتين(الكتابة والشعر)**. ط(1). تح: علي محمَّد البجاوي– محمَّد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: عيسى البابي الحلبي، ص 173.

لوجعٍ أو تَضَـجُّرٍ أو نحو ذلك[18] ، وفي ذلك نرى أنَّه يقابل علاقة الغياب بالقُرب مِنْ خلال مراقبة المحبوبة وذلك بلفظة (رقيب) حتَّى باتَتْ وَاضِـحَةً مِنْ كَلامِهِ، فهُوَ يرَاقَبُها في كُلِّ أمْكِنَتِها وأزمنتها رُغْمَ بَعْد المَسْكَنِ أَوْ المُلازِمَة لِشَخْصِـهَا. ومِنْ تعابير القول يُمكنُ أَنْ نُشِيرَ إلى هذا التقديم والتأخير في التركيب الذي قدْ سـاهمَ في فاعليَّة الحذف، وبذلك نَرَى أَنَّ الشـاعرَ قَدْ اعتمدَ علَى نظامٍ لُغَويٍّ أُسْلوبيٍّ مُحَاولاً بِهِ إبراز معاناته ومَدَى تَعَلُّقِهِ بِمَنْ أَحَبَّ.

ففكرةُ الاسـتحياءِ تسـتدعي عدم المراقبة، أمَّا هنا فالشـاعر قَدْ قَلَبَ تلك القاعدة مِنْ خلال حالة التناقض عندما جعَلَ نفسـه مُرَاقِبَاً إيَّاها رغم هجرِهِ لَهَا، وَنَصِـلُ مِنْ هذا الكلام إلى نَتِيجةٍ مُهِمَّةٍ مفادها أَنَّ المحذوف في التركيبِ لَمْ يَكُنْ عَبَثَاً، بل كَانَ لَهُ دافِعٌ واضـحٌ عائدٌ إلى وجودِ غرائز في داخل الشـاعر مُعْتَمِدَاً على بنيةٍ لُغَويَّةٍ ذاتِ منحىً بلاغيٍّ يحاولُ مِنْ خلالِها التعبير عَمَّا يجولُ في نفسِـهِ. وحتَّى تتضـحُ الصـورةِ بشـكلٍ أوضـح نقدِّم هذا الجدول لنتبيَّنَ المحذوفات عَنْ كَثَبٍ، وقد أُدْرِجَتْ على النحو الآتي:

الاسم المحذوف:	دليل المحذوف:	السبب الدافع للحذف:	الغاية البلاغيَّة مِنَ الحذف:	النتائج المُتَرَتِّبة:
خبر مُقَدَّر بـ "كائن" أو مستقرّ.	الجار والمجرور (عليَّ)	حالة الشاعر المُتَأَجِّجة بسبب الفراق.	الإيجاز والاختصار وضيق المقام، والاحتراز مِنَ العبث.	ـ إشراك المُتَلَقِّي لذات الشاعر. ـ إقحام نفس الشاعر المُتَعَطِّشة لرؤيةِ مَنْ أحبَّ.

ب- **المحذوف الفعليّ:**

ويُقْصَـدُ به الحذف داخل المُرَكَّبِ الفعليِّ، أَيْ يحذفُ الفعل في سـياق الجُمْلَة الفعليَّة. فالمحذوف الذي نُدْرِكُه عند الأدباء لَم يقتصـرْ في جانبٍ مِنَ الجوانب بل نَرَاه يتغيَّرُ حسـب السـياق الذي يَرِدُ فيه، ومِنْ أمثلةِ ذلك كمَا جَاءَ في الديوان قوله:

بِنَفْسِي مَنْ لَا تَقْنَعُ النفسُ دُوْنَهُ وَمَنْ لا ينالُ النجحَ فيه العواذلُ[19]

يبدأُ ابنُ الدمينة حديثه مُقْسِمَاً على أمرٍ مُهِمٍّ فحواه تقديم النصيحة إلى المُتَلَقِّي، أَلَا وَهِيَ أَنَّ نَفْسَه لا تَرْضَـى بأَيِّ بديلٍ إلَّا اصـطحاب المحبوبة والنيل بحظوتها، ثُمّ يأتي في الشـطر المقابل ليبرزَ

18 القزويني، أبو المعالي جلال الدين الخطيب محمَّد بن عبد الرحمن بن عمر(1414هـ- 1993م). **الإيضاح في علوم البلاغة**. ط(3). تح: محمَّد عبد المنعم الخفاجي، بيروت: دار الجيل، 2/ 4.

19 **ديوان ابن الدمينة**، ص19.

تأكيداً آخراً مِنْ خِلال السياق، ومراده في ذلك أنَّ الوشاة لا يستطيعوا الوصول إلى غايتهم وهي التفريقُ بينَ الأحبَّة أَوْ مَا شابَه ذلك طالما أنَّ الشاعر قريبٌ مِمَّن يُحِبُّ رُوْحَاً أَوْ جَسَدَاً.

وبَعْدَ هذا التأصيل لفهم البيت تَعْتَرِضُنَا فيه ظاهرةٌ أسلوبيَّةٌ لُغويَّةٌ مُتَمَثِّلَةً بالحذف الفعليِّ، حيثُ بَدَأ شَاعرنا البيت بجارٍ ومجرورٍ، وهذه شبه الجملة تحتاج إلى تعليقٍ إذ دلَّتْ على اليمينِ الواضحِ المُوكَّد.

فالشاعرُ أرادَ أَنْ يُقَدِّمَ يميناً بطريقةٍ غير مباشرةٍ قاصداً مِنْ ذلكَ تأكيداً لِمَدى حبِّه لمحبوبته وتعَلُّقِه بها، لذا كَانَ مِنَ الأولى أَنْ يُعَلَّق الجار والمجرور بفعلٍ محذوفٍ تقديره (أقسم)، وحينئذٍ يصبحُ التقدير (أقسمْ بنفسي....). فحروف القسم هي حروف الجرِّ يجرُّ الاسم المُقسم به، وتَتَعَلَّقُ بفعل القسم المُقَدَّر، وتوصل معناه إلى المحذوف به، فلا معنىً لها وحدها إذا كانتْ مُسْتَقِّلَةً عَنِ الجُملة. فمعنى القسم الذي تكتسبه مِنْ جَرَّاء وقوعها في جُمْلَةِ القسم ليس مُنْفَرِدَاً بذاته، وإنَّما يُعدُّ إكمالاً لمعنى فعل القسم، وبحسب هذا فإنَّ معاني القسم كثيرةٌ، ومنها: إمَّا لتوكيد معنى الجملة التي تسبق أو تلي جملة القسم، أو لإزالة الشكِّ عن هذا المعنى، أو للدِلالةِ على التفخيم والتعظيم وتَمَكُّن الشيء في النفس وتقويته لإزالة المشكوك وإماطة الشبهات، أو لإثارة شعور ما في نفس الإنسان كالألم والاستعطاف[20].

وَتَظْهَرُ أمامنا مَرْجِعيَّة هذا الحذف العائد إلى غرضٍ بلاغيٍّ مُجَسَّدٍ بالتأكيد مِنْ جِهَةٍ، ولشهرةِ المحذوف مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، وذلك حينَ يكونُ ذكره وعدم ذكره على السواء، وأَكَّدَ الزركشي هذه الفكرة بقوله: " هُوَ نَوْعٌ مِنَ الدلالة الَّتي لسانها أَنْطَقُ مِنَ لسان المقال أَيْ هِيَ دلالةٌ تَدُلُّ على نفسها أكثر وأحسن مَنْ ذَكَرَها النطق وذلكَ لِشدّتها وقُوَّتِها على الدلالة"[21].

وبناءً على مَا سَبَقَ ذِكْره يتبيّنُ أَنَّ المحذوف (أقسم) لم يكنْ مَحَطَّ النظر بقدرِ ما كان التركيز على الجار والمجرور الذي يزيدُ المعنى وضوحاً ويجعلنا نشاركه في معاناته تجاه مَنْ أَحَبَّ، وكأنَّ الجارَ والمجرورَ قَدْ نابا عَنِ الفعل في الحيِّز اللُّغويِّ وأُفْهِمَ معناه، وذلك لأنَّ حرفَ الجَرِّ عندما يَتَّصل بلفظة(النفس)، وهذا يشير بطبيعة الحالِ إلى وجودِ إشارةٍ واضحةٍ للقسم.

فالنفسُ تُعَدُّ مِنْ أَهَمِّ الأمور التي يُحَافِظُ عليها الإنسان ويُدَافِعُ عنها ويمتلكها، بالإضافة إلى أمرٍ آخر فحواه أنَّ الأداة الجامعة بينَ المُحبِّين هي (النفس)، لذا بدأ الكلام بذكرها وحُذِفَ مُتَعَلَّقُها دليلاً على قدرها ومَا تَكِنُّه مِنْ مكانةٍ للمحبوبة في داخلها. وَمِنْ هُنَا تَظْهَرُ أسلوبيَّةُ هذا المحذوف وما

20 يُنْظَرُ: ديب، إلياس،(1984م). **أساليب توكيد في اللغة العربية**. لبنان: دار الفكر، ص 23-27 بتصرف.

21 يُنْظَرُ: الزركشي. **البرهان في علوم القرآن**. ج3/ص108.

تحقُّقُه مِنْ معاني مُنْسَابَةٍ تَفْتَحُ المجال للتأويل. ولرغبتنا في توضيح هذا النمذجة نقدِّم هذا الأمر من خلال الجدول الآتي:

الفعل المحذوف:	دليل المحذوف:	السبب الدافع للحذف:	الغاية البلاغية من الحذف:	النتائج المُتَرَتِّبة:
فعل القسم المُقَدَّر بـ(أقسم).	الجار والمجرور(بنفسي).	أقوال الوشاة.	ضيق المقام وتأكيد المعنى لإزالة الشكِّ عنه، وتمكن الشيء في النفس.	إبعاد التهمة فيما نُسِبَ إليه ولإثارة شعور ما في نفس الإنسان كالألم والاستعطاف.

ج- المحذوف القولي(الجملي):

وهذا النوع مَا تُحْذَفُ فيه جُمْلَةٌ مُشَكِّلَةً مِنْ فعلٍ وفَاعِلٍ، فلا بُدَّ أَنْ تَتَألفَ الجملةُ مِنَ الفعل والفاعل ليكونَ الحذفُ مِنْ نوعِ الحذف الجُمَلي. فهذا النوع مِنَ المحذوفات يظهر بِقَلَّةٍ في لُغَةِ الأدبِ عموماً والشعراء خصوصاً؛ لأنَّ الحذف بالعادة إمَّا أَنْ يكونَ مُنْدَرِجَاً تَحْتَ حَذْفِ الاسم وإمَّا الفعل، وذلك يرجعُ إلى طبيعة الأديب والفكرة المطروحة في السياق المُحْتَضِنِ لها، وبعدَ البحث في ثنايا الديوان نرى بعضَ الأمثلة التي وَرَدَ بِهَا هذا الضرب، وَمِنْ ذلك قوله:

خَلِيْلِيَّ كُفَّا الألسنَ والعوجَ وَاعْلَمَا مِنَ العِلْمِ أَنْ لَا جُهْدَ بِي وذرانِي[22]

عند القراءة الأولى لهذا البيت يَتَّضِحُ أَنَّ الشاعرَ يُخَاطِبُ صاحبيه مُلْتَمِسَاً منهما أمراً ألا وَهُوَ الذهاب إلى مكانٍ ما، إذ يريدُ أَنْ يَذْهَبَا وَيُلْقِيَا السلام على تلك النسوة، فَرُبَّما تكونُ المحبوبةُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ يعيدُ ذلك الالتماس بألّا يَتَكَلَّمَا بكلامٍ غيرِ محمودٍ مُوجِّهاً لهما النصيحة ومفادها:" أنّه إنْ لَمْ تَفْعَلا مَا أطلبُ مِنْكُمَا فاتركاني وشأني"، وَقَدْ أَشَارَ إلى ذلك القَصْدِ فِي داخلِهِ مِنْ خِلالِ تقديمِهِ غرضَ مِنْ ذلك البيتِ وتحديداً مِنْ ذلك النداء وهو الالتماس الخارج في الحقيقة بالنصح عَنْ طريقِ أفعالٍ في صِيْغَتِهَا أَمْرِيَّة لِيُبْرِزَ شِدَّةَ الانفعال الذي يَكُنُّه في نفسه، فَكُلُّ هذا يمكنُ أَنْ نلْحَظَه مِنْ زاويةٍ أدبيَّةٍ تحليليَّةٍ.

أمَّا مِنْ جانبٍ أسلوبيٍّ فَنَرَى ظاهرةَ الحذف، وتحديداً ذلك المحذوف القوليِّ (الجُمليِّ)، فقد ظَهَرَ في التركيبِ مِنْ خلالِ حَذْفِ أداة النداء (يا) الَّتي لم تظهر في الكلام حقيقةً، وإنَّما قُدِّرَتْ مِنْ خِلالِ السياق وهذا الحذف في طبيعته يَعُوْدُ لكثرةِ الاستعمال، لأنَّ تعليل الحذف بهذه الشاكلة أَيْ كُثْرَةِ الاستعمال نجده بكثرة عندَ النحاة مقارنةً بالبلاغيّين حيثُ يُعَلّلون حذف الأداة (يا) في حالة توجيه الخطاب، وذلك لكثرة استحضاره في الكلام العربي، وكذلك يأتي بسبب العجلة، والإسراع بقصد

22 **ديوان ابن الدمينة**. ص20.

الفراغ من الكلام بسرعة[23]، وقد يكون الحذف لمقام الإيجاز والتستر[24]، ولأنَّ في النداء طرفاً من الأمر، ولقوّة الدِلالة على المحذوف[25].

وأداة النداء(يا) في الحقيقة نابتْ عَنْ محذوفٍ قَوْلِيٍّ مُكَوَّنٍ مِنْ(فعلٍ وفاعلٍ) حيثُ نَرَى أَصْلَ التركيب في (خليليَّ) أَيْ (أنادي خليليَّ)، حيث حُذِفَ الفعل (أنادي) مع فاعله(أنا)، ثُمَّ اُسْتُبْدِلَتْ تلك الجملة القوليَّة بأداة النداء(يا) وبعدها حُذِفَتْ، وَلَعَلَّ هذا التغيير يفيدُ الاختصار في اللَّفظ أكثر ما هو يُحَقِّقُ فائدةَ الإيجاز، وربَّما أراد الشاعر أَنْ يُنَزِّلَ البعيدُ مَنْزِلَةَ القريب، فَلَيْسَ بالضرورة أَنْ يكونَ الصاحبان قريبينِ منه، وإنَّمَا اِعْتَمَدَ مُخَاطَبَتَهُمَا رمزاً لإيصال فكرته لِمَنْ أَحَبَّ، وللواشينَ الذين يَتَكَلَّمُون كَلاماً غيرَ مُرْضٍ بِحَقِّه نتيجةَ المفارقة، وَمِنْ هُنَا تَظْهَرُ فاعليَّةَ المحذوف في التركيب ثُمَّ يأتي المحذوف لِيُشِيرَ أَنَّ حالة الشاعر حالةُ حزنٍ وألمٍ مِمَّا يستدعي وجود ضيقٍ لمقام المُتَكَلِّم.

المحذوف القولي:	دليل المحذوف:	السبب الدافع للحذف:	الغاية البلاغيَّة مِنَ الحذف:	النتائج المُتَرَتِّبَة:
فعل النداء مع فاعله	لفظة خليليّ	تنزل المحبوبة منزلة القريب مِنَ الشاعر.	ـ كثرة الاستعمال. ـ ضيق المقام. ـ الإيجاز والاختصار.	الكفّ عَنْ لومِ الأصحابِ والتماس العذر.

وعلى هذا كُلِّه تَظْهَرُ أمامنا فاعليَّة المحذوف ودورها في السياق مَهْمَا تَعَدَّدَتْ أشكالُه واختلفتْ مَوَاضِعُه وذلك يرجع لطبيعة السليقة اللُّغويَّة عند ابن الدمينة، إذ أسهمتِ العناصر المحذوفة في كشف النقاب عن البُنى العميقة الواردة ضمن التحليل، وهذا الأمر بدا واضحاً وخصوصاً في الخبر كما وجدناه في المحذوف الاسميِّ(الخبر)، وكذلك المحذوف الفعلي(القسم)، وبالتالي يأتي التصوُّر الكُلِّي لإدراكِ تلك الأنواع المحذوفة، بالإضافة إلى بيان أثر المحذوف في تسليط الضوء على العناصر التي حُذِفَتْ، وهذا عائدٌ إلى حالة الشاعر التي يعيشها في حياته وتحديداً بعد فراق المحبوبة، حيث كان تقديم نوع بعينه مِنْ كُلِّ ظاهرة كافياً للإشارة إلى الفكر اللُّغويِّ الذي اتَّسمَ به

23 ابن يعيش، يعيش بن علي بن يعيش بن أبي السرايا محمد بن علي، موفق الدين أبو البقاء بن يعيش الموصلي(1422هـ-2001م). **شرح المُفَصَّل للزمخشري**. ط(1). قدَّم الدكتور إميل بديع يعقوب، الناشر دار الكتب العلمية، لبنان: بيروت، 111/8.

24 الأزهري، خالد بن عبدالله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي(2000م). **شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح بالنحو**. ط(2). تح: محمَّد باسل عيون السود. الناشر: لبنان- بيروت: دار الكتب العلمية ، 1421هـ- 172/2.

25 يُنْظَرُ: محمود، مرشد أحمد سعيد(1990م). **الحذفُ والتقديرُ في القرآن الكريم**. مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في اللُّغة العربيَّة، بهاول بور: الجامعة الإسلاميَّة، ص3.

ابن الدمينة في ذلك العصر، فَتَحَوَّلَتْ تلكَ النماذج لتكونَ وسيلةً للعبور إلى تفتُّق المعاني المبعثرة التي تطرحُها قريحته بحسبِ السّياق الذي دفعه إلى قول المضمر مِنْ خِلالِ الموقف الذي ضَمَّنَه بمشاعره وأحاسيسه.

المَبْحَثُ الثّاني:

الأثرُ الدِلاليُّ للمُسْتَبْدل في ديوانِ ابنِ الدمينةِ

فالاستبدال لُغةً: كَمَا جَاءَ في لِسَانِ العربِ: وتَبَدَّلَ الشيء وتَبَدَّلَ به واسْتَبدَله واسْتَبْدَلَ به، كُلّه: اتَّخذ منه بَدَلاً، وأَبْدَلَ الشَّيْءَ مِنَ الشَّيْءَ وبَدَّلَهُ: تِخَذَهُ منه بَدَلاً، وأَبْدَلْتَ الشَّيْءَ بغيرِه وبَدَّلَهُ اللهُ مِنَ الخوفِ أمناً، وتبديلُ الشَّيء تغييره وإن لم تأتِ ببدلٍ، وأسْتَبدلُ الشيء بغيره وتَبَدَّلَهُ به إذْ أَخَذَهُ مَكَانَه. والمُبَادَلة: التَّبادل، والأصل في التَّبديل تغيير الشَّيء عَنْ حَالِهِ، والأصل في الإبدال جَعَلَ الشيء مكان شيءٍ آخر[26].

وجاء في (تهذيب اللغة) للأزهريِّ:" وأبْدَلْتُ الخاتم بالْحَلَقَة: إذ نحيَّتَ هذا وجعلتَ هكذا مكانه، وبَدَّلْتُ الخاتم بالحَلَقَة، إذْ أَذَبْتَه وسَوَّيْتَه حَلَقَةً، وبَدَّلْتُ الحَلَقَةَ بالخاتم إذَا أَذَبْتُهَا وجَعَلْتُهَا خاتماً. وحقيقتُه أَنَّ التَّبديلَ تَغْيِيرُ الصورة إلى صورةٍ أُخْرَى والجوهرة بعينها والإبْدال تَنْحِيَةُ الجَوْهَرةِ واستئناف جوهرةٍ أُخْرَى"[27].

إنَّ جُلَّ هذهِ التعاريف اللُّغويَّة للاستبدال تَشْمَلُ وتَشْتَرِكُ تحتَ لَفْظٍ وَاحِدٍ أَلَا وُهَوَ الإبدال والتبديل والمبادلة، فهي تعني تبديل الشيء بغيره واستبداله به.

أمَّا بالنسبة للمفهوم الإصطلاحيِّ: فالاستبدالُ عَمَلِيَّةٌ تَتَمُّ داخلَ النصِّ أَيْ إنَّه" تعويضُ عُنْصرٍ في النصِّ بِعُنْصرٍ آخرٍ، وهو علاقة اتِّساقٍ تتمُّ في المستوى النحويِّ المعجميِّ بينَ كَلِمَاتٍ أَوْ عِبَارَاتٍ"[28]، وَقَدْ" تَخْضَعُ هَذِهِ العلاقةُ لقواعدَ دلَاليَّةٍ ومعنويَّةٍ تَحْكُمُها؛ إذ إنَّ وُجُوْدَ العنصرِ المُسْتَبَدَلِ رهينٌ بموقعه في التركيبِ الداخليِّ للخِطَاب، تُقَابِلُه مَعَ مَا يَسْبِقُه وَمَا يَليه مِنْ عناصرَ مُعْجَميَّةٍ أو تركيبيَّةٍ تَسْتَدعي عناصرَ أُخْرَى مِنْ خَارِجِ الخِطَاب في الذاكرة"[29].

---

26 ابن منظور، **لسان العرب** ، مج1، صـ 213، مادة(بدل).

27 الأزهريّ، أبو منصور محمَّد بن أحمد. **تهذيب اللغة**. تح: أحمد عبد العليم البردوني، القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، 14/ 132.

28 خطابي، محمَّد(1991م). **لسانيَّات النصّ" مدخل إلى انسجام الخطاب"**. ط(1). لبنان– بيروت: المركز الثقافي العربيّ، ص19.

29 دي سيوسير، فرديناند،(1985م). **علم اللغة العام**. ط(1). تر: يوئيل يوسف عزيز، بغداد: دار آفاق عربية للصحافة والنشر، ص 27.

وأَيضَاً فَهُوَ(عَمَلِيَّة تَدَاخل النصِّ) أَيْ" أنّه نصيٌّ، على أنَّ معظمَ حالاتِ الاستبدال النصيِّ قبليَّة أَيْ علاقةٌ بينَ عنصرٍ مُتَأَخِرٍ وبينَ عُنْصُرٍ مُتَقَدِّمٍ، وبناءً عليه يُعَدُّ الاستبدالُ مصدراً أساسيَّاً مِنْ مَصَادِرِ اتِّساق النصوص"[30].

كما أنَّ الاستبدال يستدعي وجودَ محورين مُهَمِّين يُسَمَّيانِ بالمحورين الأفقي والرأسي، أو مَا اصطلحوا على تسميته علاقاتِ الارتباط الاستبداليَّة أو (الرَّأسية) والتلاؤميَّة ذلك أَنَّ بُنْيَةَ اللُّغة قائمةٌ في الأساس علَى فكرَةِ الارتباط بينَ المعاني بعلاقاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، وأَنَّ أصْلَ تلكَ العلاقاتِ جميعاً يرجعُ إلى علاقاتِ الارتباط المنطقي بينَ المعاني وَهِيَ العلاقاتُ القائمةُ على عَمَلَيَّةِ تداعي المعاني[31].

وعليه فَيُعَدُّ الاستبدالُ وسيلةً أساسيَّة تعتمدُ على سياقِ النصِّ واتِّساقِهِ، فَهُوَ يُمَثِّلُ العلاقةَ بينَ عنصرٍ مُتَقَدِّمٍ وعُنْصُرٍ آخرٍ مُتَأَخِرٍ، بحيثُ يكون هذا العنصرُ المُتَقَدِّمُ بديلاً للعُنْصُرِ المُتَأَخِرِ وهذا ما يجعل الجملة والنصَّ قادرينِ على تحقيق الترابط والاتِّساق داخلَ النصِّ.

يُفَرِّقُ نحاةُ النصِّ بينَ ثلاثةِ أنواعٍ مِنَ الاستبدال، وهذهِ الأنواع تَتَمَثَّلُ في الصِيغِ الاِسميَّةِ والفعليَّة والقوليَّة الّتي جَرَى عليها الاستبدال، وَهِيَ كَالآتي:

أ- المُسْتَبْدَل الإسميّ:

ويُقْصَدُ بِهِ: "استعمالُ ألفاظٍ مُعَيَّنَةٍ مَكَانَ أسماءٍ وَرَدَتْ في مَوْضَعٍ سابقٍ مِنَ النصِّ، وَيَتُمُّ باستخدامِ عناصرَ لُغويَّةٍ اسميَّةٍ، مِثْل: واحدٍ، واحدةٍ، آخر، أخرى"[32]. ويُمْكِنُ أَنْ يكونَ النَّصُّ يقومُ على بيانِ الأسماءِ ومفارقتها الصفات والأخبار يُرادُ بها حقائق الأشياء، والتشبيه بحقائق الأشياء، أَلَا ترى إذا سمَّينَا شيئاً بحجرٍ أو رجلٍ – سمَّيناه بحجرٍ فليس الغرضُ أَنْ نَجْعَلَه حَجَرَاً، وإنَّما أَرَدْنَا إبانته وإذا وَصَفْنَاه بِهِ أو أَخْبَرْنَا به عنه فإنَّما نُرِيدُ الشيءَ بعينِهِ أَوْ التشبيه[33].

فعندما ننظرُ إلى أبيات الديوان نجدُ أنَّها جاءتْ قائمةً على الارتباط الوثيق بينَ ثناياها، أَمَّا إذا بحثْنَا فيها فَنَجِدُ فيها مجموعةً مِنَ الأسماءِ مُسْتَبْدَلَةً تُعَزِّزُ ذلكَ الارتباط دونَ أَنْ يَتَبَادَرَ إلى ذهن المتلقِّي الشكُّ في النظام اللُّغويِّ. وَمِنْ تلكَ الأسماءِ المُسْتَبْدَلَةِ كَمَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ:

فليتَ قَلُوصِـــي عِـــنْدَ عزَّةَ قُيِّدتْ بِحَبْلٍ ضَعِيفٍ غُرَّ مِنْهَا فَظَلَّتِ

وكنـتُ كَذِي رِجْلَـــينِ رجلٍ صحيحةٍ ورجلٍ رمـــى فيها الزمانُ فَشُلَّتِ

---

30 خطّابي، محمَّد. **لسانيَّات النصّ " مدخل إلى انسجام الخطاب"**. صـ 19.

31: الدّاودي، زاهر بن مرهون بن خصيف،(2010م). **الترابط النصّيّ بين الشعر والنثر**. ط(1). عمان: دار جرير للنشر والتوزيع، صـ 48.

32 يُنظُرُ: الداودي. **الترابط النَّصّيّ بين الشعرِ والنثرِ**، صـ 50.

33 الأسدي، د. حسين عبد الغني جواد، (2007م). **مفهوم الجملة عند سيبويه**. ط(1). بيروت: دار الكتب العلميَّة، صـ 107.

أُرِيْـــدُ الثَّـــوَاءَ عِنْـــدَها وَأَظُنُّـــها إذا مَا أَظَلَّنَا المُكْـــثَ مَلَّتِ[34]

يُصَوِّرُ ابن الدمينة حالةً مِنَ الحيرة يحاول مشاركها مَعَ نَاقَتِهِ، إِذْ تمنَّى أَنَّ تلك الناقة أَنْ تَبْقَى في دارِ عَزَّةَ و تُرْبَطُ بِحَبْلٍ ضعيفٍ ويضَيعُ مِنْهَا فتصبحَ ضَائعةً، وقَدْ كَانَ في أَمْرِهِ كَمَنْ يَمْلِكُ رِجْلَينِ؛ إحداهما سليمةٌ يَسْتَطِيْعُ السيرَ عليها، والأخرى مشلولةٌ لا تعينُه على المَسَيرِ، فهو يريدُ الاستقرار عندها مِنْ جِهَةٍ، وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرى يَظُنُّها تضجر مِنْ طولِ البقاءِ.

وعندَ تتبُّعِ مُفْرَدَاتِ البيتِ نَجِدُ وجودَ ظاهرةٍ لُغويَّةٍ اِنْدَرَجَتْ تَحْتَ مُسَمَّى (المُسْتَبْدل الاِسميِّ)، حيثُ أُسْتُبْدِلَ اللَّفظُ (المكث) مكانَ لفظِ المُسْتَبْدَلِ منه والذي يُفْهَمُ مِنْ سياق البيت وَهُوَ (الثواء)، إِذْ حَلَّ كُلٌّ منهما مكانِ الآخر؛ وذلك لأنَّ (المَكْثَ) هو مَا يَدَلُّ على الإقامة والأناة واللّبث في المكان والانتظار[35]، أمَّا (الثواء) فهو" طول المقام والإطالة فيه"[36]، فالشاعر يرغبُ أَنْ يُقِيمَ عند المحبوبة في البداية إقامةً دائمةً فلذلك بدأ بالثواء، ثُمَّ استدركَ في نَفْسِهِ أنَّ هذهِ الإقامة قَدْ تُؤَدِّي إلى مَلَلِهَا مِنْه فلذلك عَدَلَ باللَّفظ واستبدَلُه بـــ(المكث) الذي يُوْحِي على قصر زمن الإقامة، وسببُ ذلك يعودُ إلى خشية الشاعر مِنَ المحبوبة أَنْ تتذمَّرَ مِنْ مُدَّةِ الثواء عندها. وهذا الاستبدالُ في الحقيقة يفتح آفاق المشاعر الروحيّة والأحاسيس المكتظة بحرقة الشوق لدى ابن الدمينة مِمَّا جعله يتطرَّق إلى تغيير اللَّفظ نتيجة ما وَقَعَ في نِفْسِ المحبوبة مُسْتَقْبَلاً، وهذه الاحتماليَّة سمَّاها أهل البلاغة بـ(اعتبار ما سيكون). ومِنْ هُنا نَرَى أَنَّ عمليَّة الاستبدال كانتْ مَشْرُوْطَةً وكاشفةً لحقيقة النفس الإنسانيَّة وَمَا يَلُوجُ في داخلها مِنْ عدمِ الرغبة في الإقامة، وتحديداً في ذَلِكَ المكان، بالإضافة إلى الإيجاز وتوفير الوقت مع التفصيل.

وتكتملُ الصورة بشكلٍ مُنَاسِبٍ حينَ نرمي إلى الشكل البيانيِّ الآتي مُوَضّحينَ تلكَ العناصر والأثر الناتج عنها:

الاسم المُسْتَبْدَل منه:	الاسم المُسْتَبْدَل به:	دِلالة الأثر الاستبداليّ:
الثواء	المكث	استدراك عنصر الخوف والتردّد في الإقامة، وسعي الشاعر إلى تجنُّب ما سيحدث مُسْتَقْبَلاً.

34 **ديوان ابن الدمينة**. ص35.

35 ابن منظور. **لسان العرب**. 2/ 191 . مادة (مكث).

36 ابن منظور. **لسان العرب**. 3 /57. مادة (ثوي).

ب . الاستبدال الفعلي: وَيُقْصَدُ بِهِ:" أَنْ يَحُلَّ فِعْلٌ مَحَلَّ فعلٍ آخرٍ مُقَدَّمٍ عَلَيْهِ، يُعَبِّرُ عنهِ باستعمالِ مادةِ (فَعَلَ) بصيغها المُخْتَلِفة[37]"، فالفعلُ مصطلحٌ عامٌّ يَضُمُّ الفعلَ المعروف عندنا، وطائفة البُنَى التي تُسْلَكُ في الجُمْلة مسلكَ الأفعال، فتقوم مقامه في الدلالة على الحَدَث، وتعمل فيما بعده كعمليَّةٍ فيما بَعْدَه، ويبقى الحدث فيها هو العنصرُ المُولِّدُ في الجُملة كَمَا يكونُ في الفعل وسيأتي بيانَ ذلكَ مُفَصَّلاً، مع كونها قَدْ انحازَتْ على الفعلِ مِنْ جِهَاتٍ أُخرى منها، إلَّا أنَّه لا تتمُّ صياغتها (بناءها) على أبنية الفعل كَمَا أنَّها لا تُنْشِئُ مجالاً خاصَّاً للفاعل أو المُسْنَد إليها بعدها على نحو اللُّزوم بالطريقة التي يَسْلُكُها الفعل في ذلك وغير ذلك[38]. ويكون غالباً باستعمال الفعل (فعل، عمل) مكان فعلٍ خاصٍّ أو مجموعة معلوماتٍ مبنيَّةٍ على أحداث[39]. وَمِنْ أمثلةِ هذا النوع بحسبِ مَا ورَدَ في الديوان قوله:

وأنتِ الَّتي قَطَّعْتِ قَلْبِي حَزَازَةً وَفَرَّقْتِ قَرْحَ القلبِ فَهُو سَقِيْمُ[40]

قَدْ ذَكَرْنَا سابقاً أنَّ المُسْتَبْدَلَ الفعليَّ يَتَمَثَّلُ في أَنْ يَحُلَّ فِعْلٌ مَحَلّ فعلٍ آخرٍ مُقَدَّمٍ عليه، يُعَبِّر عنه باستعمالِ مَادّةِ (فعل) بصيغها المُخْتَلِفَة[41]، ونحن في هذا البيت لا يَسَعُنا الحديث إلَّا في الوقوف عندَ إِحْدَى النماذجِ الواردةِ فيه الَّتي تَخْدُمُ غرضنا المقصود وبيان الدور الذي يُؤَدِّيه هذا النوع في تحقيق تلك الفاعليَّة الأسلوبيَّة في التركيب اللُّغويِّ. فقدْ خاطَبَ ابنُ الدمينة محبوبته مُنَبِّهمَاً إيَّاها بتقطيعِ قلْبِهِ أوصالاً نتيجة البُعْدِ والهجران لا بلْ جعَلَتْ هذا القلب سبباً في سِقَمِ الجسم ودائه، لذا اعْتَرَى البيتَ استبدالٌ فعليٌّ تَجَسَّدَ في لَفْظِ المُسْتَبْدَلِ (فرَّقْتِ) مَحَلّ المُسْتَبْدَلِ مِنْه (قطَّعْتِ)؛ لأنَّ" (الفرق) خلاف الجمع ، وفرّقْتُ الشيئين أُفَرِّقُ فَرْقَاً وفُرْقَانَاً، وفرَّقتُ الكلامَ إذا قَسَمْتَه، وتَفَارَقَ القومُ: فَارَقَ بعضهم بَعْضَاً. وفَارَقَ فلانٌ امرأته مُفَارَقَةً وَفِرَاقَاً: باينَها"[42]. بينما القطع هُوَ: إبانةُ بعضِ أجزاءِ الجرمِ مِنْ بعضٍ فَصْلاً. وَقَطَعَ الماء قَطْعَاً: شَقَّهُ وجَازَهُ[43]. وَمِنْ خِلالِ هذا المعنى السابق نَرَى أنَّ اسْتُبْدِالَ اللَّفظ (فرَّقْتِ) مَحَلَّ (قطَّعْتِ)، لِمَا فيه مِنْ زِيَادَةٍ في المَعْنَى وَمُشَارَكَةٍ لِحَالته التي يعيشها، وزيادةً عَلَى ذلك أَنَّ التقطيع أَقْرَبُ مَا يَكُوْنُ محسوساً في الجسد وتحديداً في أماكنَ مُعَيَّنَةٍ، أمَّا

---

37 يُنْظَرُ: النجار، نادية مصطفى(2013م). **عِلمُ لُغَةِ النَّصِّ والأسلوب**. ط(1). مصر – الإسكندرية: مؤسسة حورس الدولية، صـ 122.

38 الأسدي. **مفهوم الجملة عند سيبويه**. صـ 107.

39 الداودي. **الترابط النصي بين الشعر والنثر** . صـ 50.

40 ديوان ابن الدمينة. ص 36.

41 يُنْظَرُ: النجار، نادية مصطفى. **علم لغة النص والأسلوب**. ص122.

42 ابن منظور. **لسان العرب**. ج11، ص169. مادة: (فرق).

43 ابن منظور. **لسان العرب**. 139/12. مادة (قطع).

(التفريق) فإنَّه يدلُّ على الأجزاء الصغيرةِ الدقيقةِ مِنَ الجَسَدِ، وإنَّ هذا التفريق قَدْ يُسَبِّبُ انتشاراً للألم في الجسم بِرُمَّتِه.

وكذلك فالتقطيع يصيرُ أشدَّ صعوبةً وأكثر أَلَماً. فأنتَ عندما تريد أنْ تقطِّعَ شيئاً قد يكون على دفعاتٍ وبأقلِّ جُهْدٍ، أَمَّا إذا قُمتَ بتفريقه فهنا يكونُ هذا القطع أشدّ معاناة، وحينها يقتربُ إلى (النزع)، ومِمَّا يمكنُ أَنْ نشيرَ إليه أنَّ معنى اللَّفظين يتّفقانِ في دِلالةِ التفرقة والعذاب لكن يبقى السياق هو الحدُّ بينهما.

فالشاعر حينَ أحسَّ أَنَّ هذه المحبوبةَ كادتْ أنْ تُنْهِي حياته بغرامها وبُعْدِهَا لَجَأَ أَنْ يَعْدِلَ باللَّفظِ وَيُحَوِّل تلكَ المعاناة ويضعها في القلب تحديداً حتَّى يُثْبِتَ للمُتلقِّي أنَّ ما يعانيه لا يُرى بالعين المُبْصِرَة وإنَّما مَا يَكُنُّه في دَاخلِهِ. فمهما حاولَ الكشف عنه فلا يظهر منه سوى بعضِ آثارِهِ عَلَى ذلك الجسدِ الَّذي أصبح نحيلاً نتيجة تلك العلاقة القائمة بينَ الطرفين.

وعليه فإنَّ ورودَ الاستبدال الفعليِّ حينَ التوظيف في ثنايا البيت لَمْ يَكُنْ عَبَثَاً بَلْ حَقَّقَ دوره في زيادة المعنى، وعَزَّزَ المقاصد وأثبتَ الحالة الشعوريَّة مَعَ نَقْلِهَا إلى الواقع بَعْدَ أَنْ كَانَتْ خَفِيَّةً، وهُنَا يمكنُ أَنْ نُشيرَ إلى جانبٍ ذاتِ أهميَّة هُوَ أنَّ الشاعرَ لمْ يَلْجَأ للحذفِ أو الاقتصار اللُّغويِّ وينتهي الأمر عند هذا فحسب بَلْ لَجَأَ إلى عنصر المُبادلة؛ لأنَّ المفردة الأولى (قطَّعْتِ) لَمْ تَكُنْ كافيةً في تأديةِ المعنى لوحدها أو عندما نعطف الكلام الآتي عليها.

ومن قبيل التأويل يمكن أن نقول: إنَّ العناصر المُسْتَبْدَلة كانتْ لَهَا دعائم أكدَّت تلك الحالة التي يعيشها الشاعر، فمثلاً العطف كان رابطاً وجامعاً لِمَا يصيبه في كلا الحالتين، ومنه أيضاً لو نظرنا إلى نوعيَّة الألفاظ المُسْتَبْدَلة الواردة بينَ فعلين ماضيين، وهذا يُومِئ إلى تثبُّتِ تلك المعاناة منذ القديم وكأنَّها شيءٌ عاشه زماناً منذ أن التقى بها. وبذلك نصل إلى شرط الاستبدال هو دعم المحتوى وبقاؤه في حالةٍ نشطةٍ وإعادة تحديده بما هو مُنَاسِبٍ.

ومِنْ هُنَا يأتي السياق هُوَ الكاشف لتلكَ اللَّوعة المُضْمَرة في النفس، وحتَّى نوضِّحَ كَلَامنا أكثرَ نذهب إلى تجسيد هذا مِنْ خلال الجدول البيانيِّ؛ لنتبيَّنَ مَا تَمَّ استبداله ومَا تَمَّ تَرْكَه مِنْ أَثَرٍ دلاليٍّ، وَهُوَ كالآتي:

الفعل المُسْتَبْدَل منه:	الفعل المُسْتَبْدَل به:	دِلالة الأثر الاستبداليّ:
قَطَّعتِ	فَرَّقْتِ	تصوير حالة العذاب النفسيَّة والجسديَّة التي وَصَلَ إليها الشاعر نتيجة أفعال المحبوبة.

ج. **الاستبدال القولي:**

وَهُوَ استبدالُ قولٍ مكانَ آخرٍ مَعَ تأدية وظيفته في النصِّ، " والاستبدالُ بهذا المعنى لَفْظٌ بديلٌ في النصِّ وهو وسيلةٌ مُهِمَّةٌ للربطِ بينَ الجُمَلِ وشرطهُ أَنْ يَتُمَّ استبدالُ وحدةٍ لُغَويَّةٍ بشكلٍ يشتركُ مَعَهَا في الدلالة، حيثُ ينبغي أَنْ يَدُلَّ كِلا الشكلينِ اللُّغويّينِ على الشيء غيرِ اللُّغويِّ نفسِهِ"[44].

وعليه يُحَقِّقُ الاستبدالُ بأنواعه الثلاثة الآنفة فَاعليَّةً بارزةً في كشف خفايا النَّصوصِ ومدى ترابطها الدِلاليِّ رغم وجود المحذوفات مِنْ خلالِ إسهامِ كُلٍّ مِنْ (فعلٍ وفاعلٍ، واسمٍ وضميرٍ، وتركيبٍ وقولٍ... وغيرها) المتأتّي في إبراز دورها في النصِّ مِنْ أجلِ إعطاء ريادتها في الاتِّساق النصّي، وحتَّى يتَّضح للقارئ ويُفْهَمُ المعنى.

وَبَعْدَ هذا التأصيلِ لهذا المصطلحِ مَا كَانَ علينا سوى إدراجِ بعضِ النماذج الَّتي وَرَدَتْ فِي الديوان حتَّى نستطيع مِنْ خِلالها أَنْ نبيِّنَ ذلكَ الدور الذي يَلْعَبُهُ الاستبدالُ مَعَ استيفاءِ المَعْنَى حَقّه ضمن التركيب الواقع فيه. فَمِنْ تلكَ المواضع كما جاء في قوله:

أسألتْ مَغْنَى دمنة وطلولا جَرَتْ بها عُصُف الرياح ذيولا

قطعاً تموجُ على المتان بحاصبٍ موجَ الحُباب وعاصفاً منخولا[45]

إنَّ الناظر إلى البيتين يدركُ تماماً أنَّ معنى البيت الثاني هُوَ عينُه معنى البيت الأوَّل، إلَّا أنَّ الأوَّل يُشِيْرُ فيه ابن الدمينة إلى مساءلته للديار وآثارها مِنْ خلالِ معرفة مَا حَلَّ بها مِنْ أمورٍ، وماذا فَعَلَتْ بها تلكَ العواصفُ والأمطارُ بأصحابها وكيف تَحَوَّلَتْ إلى هذهِ الشاكلة، في حينَ أنَّ البيت الثاني يُصَوِّرُ فيه تلك الأمور التي فَعَلَتْهَا العواصفُ وكيف تَحَوَّلَتْ إلى قِطَعٍ بفعلِ السيولِ وكأنَّها تَقَسَّمتْ إلى أجزاء حتَّى بَاتَ المُتَلَقِّي يَظُنُّ أنَّها بفعلِ إنسانٍ قامَ يُقَسِّمُها إلى أشكالٍ مُتَنَاسِبَةٍ.

ونحن في هذا البيان الماضي اِسْتَوْجَبَ منَّا أَنْ نُظْهِرَ حَقِيقَةَ الاستبدال الوارد في البيتين الآنفين، فنرى أَنَّ البيتَ الثاني جَاءَ بمعنى البيت الأوَّل مَعَ وجودِ فارقٍ بسيطٍ تَشَخَّصَ في مفردات الأبيات.

ـ فقد اُسْتُبْدِلَ (قطعاً) بـ (دمنة وطلول). فالدمنة هي:" آثار الناس وما سَوَّدوا، والدمنة هو ما اختلط من البعر والطين عند الحوض فَتَلَبَّدَ[46]. بينما الطلول هو: ما شَخِصَ مِنْ آثار الديار، وطلل الدار يُقَالُ: إنَّه موضعٌ مِنْ صحنها يُهَيَّأُ لمجلس أهلها[47]. فالدمنة والطلول هي أجزاء الشيء فَتُشَكِّلُ فيما بينها قِطَعَاً؛ لذلك كانَ استبدالها بهذا اللَّفظ مُتَنَاسِبَاً ومُوْحِيَاً بالاختصار لكيلا يُعيدَ اللَّفظ بعينه مِمَّا

---

44 العمري، عيدة مسبل (1430هـ). **الترابط النصّيّ في رواية النداء الخالد لنجيب الكيلاني**.(د. ط). جامعة الملك مسعود ص 53.

45 **ديوان ابن الدمينة**. ص41.

46 ابن منظور. **لسان العرب**. 5/ 304. مادة (دمن).

47 ابن منظور. **لسان العرب**. 9 /139. مادة (طلل).

فَتَحَ البابَ لِلْمُتَلَقِّي في تَصَوُّرِ ما له نهاية مِنْ هذهِ الطلول، وخصوصاً أنَّ الثانية جاءتْ نَكِرَةً دَالةً على العموم ومُوَافِقَةً لِلّفظِ المُسْتَبْدَلِ عنه.

ـــــ وكذلك أُسْتُبْدِلَ لَفْظُ (جرَتْ) بِـــلَفْظِ(تموج على المتان)، فالموج: ما ارتفعَ مِنَ الماءِ فوقَ الماء، والفعل ماجَ الموج، والجمع أمواج، وتموَّج: اضطربتْ أمواجه[48]. فإذا نَظَرْنَا إلى مدى التوافق بين اللَّفظين فسوف نجد أنَّ الجريان والموج يوحيان إلى جنس الماء إلَّا أنَّ الفارق بينهما يظهر في أنَّ الجريان فيه رِقَّةٌ وأقَلُّ حركةً أثناء انسياب الماء، بينما الموج ففيه سرعةٌ واضطرابٌ، ولَعَلَّ الشاعر حينَ وَظَّفَه مكانَ الأوَّل كان يحاول أَنْ يَنْقُلَ مَا يعتلجُ داخله مِنْ اضطرابٍ نتيجةَ فعل المحبوبة به، لذا شخَّص حالته بحالة الموج، وبتعبيرٍ آخر يبدو أنَّ علاقة الشاعر مع المحبوبة كانتْ علاقةً طبيعيَّةً، لكنَّها في نهاية المطاف تحوَّلت إلى شيءٍ يدعو إلى القلق والخوف، وبذلك يتَّضحُ أثر اللَّفظ المُسْتَبْدَلِ في إزاحة اللَّثامِ عمَّا يُدْرِكُه الشاعر وَمَا ينوي تقديمه إلى المُتَلَقِّي. وأيضاً كان داعم هذا الشعور والحالة المُتَأَجِّجَة هو استبدال(عصف **الرياح**) بـــ (عاصف). فالعصف هو: مَعْصفٌ مِنْ رياحٍ معاصف إذا اشتدَّتْ هبوبها[49]، إذ بهذا الاستبدال يزداد الكلام أكثر تأكيداً؛ لأنَّ شِدَّةَ العصفِ لا تكتفي بسرعة الرياح فحسب وإنَّما تشير إلى ما سينتج عنها في النهاية. وتأتي الحقيقة في أمر هذا المدلول لتتحوَّلَ حياةُ ابن الدمينة عند لحظة فراقه للمحبوبة، وما لَقِيَه بعد ذلك مِنْ عثراتٍ نفسيَّةٍ هَيْمَنَتْ على ذاته الكئيبة.

ـــ كما تمَّ اِسْتِبْدَال(ذيول) بـ(منخولا). فالنخل هو: الصفاء والاختيار، وكُلُّ ما صَفِيَ ليعزلَ لُبَابه فقد انتخل، والنخالةُ ما بَقِيَ في المِنْخَل، وانتخلتُ الشيءَ: استقصيتُ أفضله وتخيَّرْتَه[50]، بينما الذيل هو: آخر كُلِّ شيء، وذيلُ الريح: ما انسحبَ مِنْها على الأرض، وما تتركُهُ في الرمال على هيئةِ الرَّسَنِ ونحوِهِ[51].

فلفظُ (منخولا) كان الأعمّ في التصويرِ؛ لأنَّ شاعرنا يرغبُ في تقديم حقيقةٍ مفادها أنَّ ما بقي في داخله تجاه المحبوبة لا يتجاوز سوى القليل، وقد قاس هذا الأمر على شيءٍ محسوسٍ يَظْهَرُ للمُشَاهِدِ أمامَ العينِ المُجَرَّدَة كصورةِ آثار الرمال وما تَشَكَّلَ على أطرافها، وربَّما يكون هذا الأمر تعبيراً عَنْ حالةِ الصَّفاءِ التي عاشها في ظِلِّ مِمَّن أَحَبَّ ، فَلَمْ يَبْقَ في داخله سوى ذرَّاتٍ لا تُرى إلَّا بعد التمحيص الدقيق في كشْفِها.

---

48 ابن منظور. **لسان العرب**. 14/ 149. مادة (موج).

49 ابن منظور. **لسان العرب**. 10/ 173. مادة (عصف).

50 ابن منظور. **لسان العرب**. 14/ 220. مادة (نخل).

51 ابن منظور. **لسان العرب**. 6/ 55. مادة (ذيل).

ولعلَّ هذهِ الإستبدالات لم تُوَظَّفْ عبثاً، وإنَّما جاءت لتوَضِّحَ وتَفُسِّرَ غموضَ المعنى الذي أَخْفَتْهُ مفرداتُ البيت الأوَّل، وبذلك تحوَّلت ألفاظ البيت الثاني أشبه بتفسيرٍ لمعاني البيت الأوَّل مع الإطناب الدِلاليِّ الذي حَمَلَتْه بالمقارنة مَعَ ألفاظ البيت الأوّل، فيحقِّق ابن الدمينة غايتينِ؛ أوّلهما التفسير عَنِ الغامض، وثانيها: إثبات الحالة بنمطٍ جديدٍ دون اللُّجوء إلى الحذف أو شابه ذلك. وبالمقابل نلمح شرطاً للاستبدال هنا وقدْ بان مِنْ خِلالِ السيَّاق، إذ تساوَتْ به الوظيفة التركيبيَّة للألفاظ المُسْتَبْدَلة، وكذلك نرى الاشتراك في المضمون الدِلاليِّ، بالإضافة إلى فِهْمِ النَّصِّ وتأويله. وحتَّى نرسم الصورة بشكلٍ تفصيليٍّ نذهب إلى وضعِ جَدْوَلَةٍ تُبَيِّنُ الألفاظ المُسْتَبْدَلة إضافةً إلى الأثر الناتج عنها و البارز من تلك المعاني.

الألفاظ المُسْتَبْدَل منها:	الألفاظ المُسْتَبْدَل بها:	الدلالة الاستبداليَّة:
قطعاً	دمنة وطلول	التفصيل في ذِكْرِ الأماكن.
جَرَتْ	تموجُ عَلَى المتانِ	المشاركة في انسياب أحاسيس الشاعر بسببِ الفِرَاقِ.
منخولا	ذيول	الاشتراك الدلاليّ لحالة الفقدان وبقاء الأشلاء منه.

وقد يظنُّ المُتَلَقِّي أنَّ هذه الاستبدالات قد تتداخل مع النوعين السابقين، إلا أنَّنا نجيب بأنَّ النوعين السابقين قد ارتكزا على استبدالٍ جزئي واحد فقط، أمَّا هنا فقد اشتمل الأمر على العديد من الألفاظ حتَّى تحوَّل الأمرُ نسبيَّاً إلى استبدالِ تركيبٍ جُمَليٍّ بتركيبٍ آخر.

وتعقيباً على مَا سبقَ يترتَّبُ الكلامُ القائمُ على نوعيَّةِ هذا الاستبدال يمكن الإشارة إلى أنَّ أيَّ لفظةٍ أُسْتُبْدِلَتْ مكانَ أخرى قد ساعدَتْ في تفسيرِ معنى المُسْتَبْدَلِ منه مَعَ المحافظة على المعنى الجامع بين المفردتين المُسْتَبْدَلَتَينِ. وبذلكَ تأتي دعوة ابن الدمينة في سلك هذا الطريق لِيُشْعِرَ المُخاطب بأثر المحذوف والمُسْتَبْدل مِنَ الناحية الدلاليَّة فيما يُعَانيه الشاعر في نفسه أثناء تقديم الفكرة التي يُرْيدُ إيصالها للمُتَلَقِّي.

خاتمة البحث:

إنَّ الَّذي قدَّمناه مِنْ دلالاتٍ ارتكزتْ أسسُها على مفاصل عديدةٍ تَمَثَّلَتْ في الحذفِ والاستبدالِ كانَ لَهَا أثرها الفعَّال في الكشف عَنْ لُغَةِ النصِّ الأدبيِّ ، وخصوصاً في الأبيات التي صارتْ قَيْدَ الدارسة، ولعلَّه مِنَ المفيد أَنْ نُوْجِزَ هذا البحث بمجموعةٍ مِنَ النتائج أهمُّهَا:

ـ كانتِ العلاقةُ بينَ المُصْطَلَحينِ هيَ علاقة اتفاقٍ واختلافٍ، فعلاقةُ كُلٍّ منها علاقةُ استبدالٍ، ولكنَّ الحذفَ هُوَ استبدالُ الصفرِ بلْ هِيَ عَلَاقةُ تضمينٍ تَتَمُّ داخل النَّصِّ وِفْقَ المُسْتَوَى النحويِّ

والمعجميِّ. فالاستبدالُ يَتَضَمَّنُ الحذف، والاستبدال مَعَاً، وعليه يعطي استمراريَّة النَّصِّ واتِّساقِهِ، وترجعُ أهميَّته إلى الاِتِّساقة عَلَى مستوى الجُمَلِ، وليسَ عَلَى مُسْتَوَى الجُمْلَة الوَاحِدَة.

ـــ يعودُ سبب انتقاءِ هذهِ الأبيات دون غيرها وتوْظِيفِهَا للدراسة لِمَا تحتويه مِنْ مواضعَ تشتملُ على الاستبدال والحذف، بالإضافة إلى أنَّه لم يتمَّ الوقوف عَلَيهَا سَابقاً بهذهِ النَّوْعِيَّة.

ـــــ يُمْكِنُ إيجاد مُفارقَةٍ بينَ عُنْصَرِي الحذف والاستبدال؛ فالعنصرُ المُسْتبدَلُ هُوَ وجودُ عُنْصرٍ أو مجموعةُ عَنَاصِرَ لُغويَّةٍ، والعنصرُ البديلُ هُنَا هُوَ عُنْصُرٌ أو مَجْمُوعَةٌ مِنَ العناصر، بينما العنصر المحذوف هوَ عنصرٌ أو مجموعةُ عناصرَ لُغويَّةٍ، أمَّا العنصرُ البديلُ فَهُوَ صِفْرٌ.

– يَشْتَرِكُ المحذوفُ والمُسْتَبْدَل في تقسيم كُلٌّ منهما على ثلاثة أقسامٍ:(قولي وفعلي واسمي) مَعَ التداخلِ فِي الأغراض، ويقومان بالوظيفة نفسها؛ مِثْلَ إعادةِ اللَّفظِ نَفْسِهِ، والاختصار والتكثيف الدِلاليِّ.

– كانتْ ظاهرةُ الحذف مُسَاهِمَةً في خَلْقِ تَذَوُّقٍ جمَاليٍّ يُفْتَنُ به المُتَلَقِّي، وذلكَ مِنْ خِلالِ استدراجه إلى ملءِ الفراغات بحسبِ فِهْمِهِ لدلالة النصِّ، حيثُ أدَّى الاستبدالُ في الديوان دوراً لِمَا له مِنْ وَظِيفَةٍ اختزاليَّةٍ في استعمال العناصر اللُّغويَّة وتجنُّبِ التكرار وخصوصاً في المُستبدلاتِ الإسميَّة(الثواء– المكث)، والفعليَّة(قطَّعت– فرّقت) ، بينما المُسْتَبْدلُ القوليُّ فقد كان أقلَّ حضوراً، لكنَّه تميَّز بالقدرة التركيبيَّة وهذا يعودُ لاستبدال أكثر مِنْ لَفْظٍ مَعَ تحقيق المعنى المراد بطريقةٍ مُوْجَزَةٍ، إذ ساهم في اتِّساق لُغَةِ الديوان وربط أجزائها، لذلك نرى الاستبدال مُتَقَارباً مِنْ حيثُ الأنواع الواردة في الديوان مِنْ ظاهرة الحذف.

– نرى تداخلاً بين أنواع المحذوفات والمُسْتَبْدَلاتِ الإسميَّة والفعليَّة والقوليَّة مِنْ حيثُ العملُ والدور الذي يُحَقِّقُه كُلٌّ منهما.

– أسهمتْ ظاهرةُ المحذوف في خلقِ تذوُّقٍ جماليٍّ وخصوصاً في المعاني التي بانتْ مِنْ خلال السياق نحو الاختصار وضيق المقام وغيرها مِمَّا يجعل المُتَلَقِّي يقفُ طويلاً عندَ كُلِّ تركيبٍ لِيُدْرِكَ المحذوف ويكتشف أثره، وذلك مِنْ خلال استدراجه إلى ملء الفراغات الدلاليَّة الغامضة بحسب فهمه لدلالة النصِّ.

– قدَّمتْ لنا الدراسة أثراً جديداً في الظاهرة الاستبداليَّة تمثَّلتْ في ظهور شرطِ الاستبدال المُسْتَنْتَجِ مِنْ خلالِ السياق بالمُشَاركة معَ المعنى القريب مِنْ مُرَادِ الشاعر، وهذا ما تمَّ ذكره أثناء الدراسة.

– أخيراً يمكن الذكر أنَّ المُتَعَقِّبَ لأبيات ابن الدمينة يدرك تلك الثروة اللُّغويَّة الخاصة به والتي صاغهَا بأسلوبه الجميل التي تتناسبُ مَعَ ذهن القارئ حتَّى لو كانَ مِنْ خارجِ عَصْرِه.

ـــ تعدُّ فكرة الجدولة أكبر داعمٍ لتوضيح مَا تَمَّ ذِكْره بطريقةٍ مُخْتَصَرَةٍ، إذ تعينُ الذهن للوصول إلى النتائجِ بأقلِّ وقتٍ مُمْكِنٍ، مَعَ السلامة في فهم المقصود من التحليل والعرض والمناقشة.

- وتُوْصِي الدارسةُ الأخذَ بهَذَا الجانبِ التحليليِّ الجديدِ لتيمَّ التَعَرُّفَ على إدراكِ علاقةِ البلاغة مَعَ النحو والمعجميَّة وِفْقَ مَنْظُورٍ لِسَانيٍّ حديثٍ يزيدُ مِنْ مَدَارك الفكر، ويجعل منْ مفرداتِ النصوص سِلْسِلةً مِنَ التأويلات يُقَلِّبُها المُتَلَقِّي كيفما شاء بحسب الحال التي كُتِبَتْ بِهَا.

المصادر والمراجع:

الأزهري، خالد بن عبدالله بن أبي بكر بن محمَّد الجرجاوي(2000م). **شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح بالنحو**. ط(2). تح: محمَّد باسل عيون السود. الناشر: لبنان- بيروت: دار الكتب العلمية ، 1421هـ- 172/2.

الأزهريّ، أبو منصور محمَّد بن أحمد. **تهذيب اللغة**. تح: أحمد عبد العليم البردوني، القاهرة: الدار المصريَّة للتأليف والترجمة، 14/ 132.

الأسدي، د. حسين عبد الغني جواد، (2007م). **مفهوم الجملة عند سيبويه**. ط(1). بيروت: دار الكتب العلميَّة، صـ 107.

الأندلسيّ، أبو حيّان، (2002م). **البحر المحيط**. ط(1). تح: عبد الرزاق المهدي، بيروت: دار إحياء التراث العربيّ، صـ 643.

الجرجانيّ، عبد القاهر. **أسرار البلاغة**. قرأه وعلَّق عليه: محمود محمَّد شاكر، القاهرة : مطبعة المدني، جدة: دار المدني، ج1، صـ 379- 380.

الجرجاني، عبد القاهر. **دلائل الإعجاز**. الناشر: مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، مج 1، صـــــــ 121.

الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حمّاد(1974م). **الصِحاح تاج اللغة وصحاح العربية**.(د. ط). إعداد: نديم مرعشلي، وأسامة مرعشلي. لبنان- بيروت: دار الحضارة العربيَّة، ج1، صـ 120.

حَمُّودة، طاهر سليمان(1998م). **ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي**. (د. ط). الدار الجامعيَّة لطباعة والنشر والتوزيع، ص 14.

خَطَّابي، محمَّد(2006م). **لسانيَّات النصّ" مدخل إلى انسجام النَّصِّ"**. ط(2). المغرب: الدار البيضاء- المركز الثقافيّ العربي، ص 21.

- خطَّابي، محمَّد(1991م). **لسانيَّات النصّ" مدخل إلى انسجام الخطاب"**. ط(1). لبنان- بيروت: المركز الثقافي العربيّ، ص19.

الدّاودي، زاهر بن مرهون بن خصـيف،(2010م). **الترابط النصّـيِّ بينَ الشـعر والنثر**. ط(1). عمان: دار جرير للنشر والتوزيع، صـ 48.

ديب، إلياس،(1984م). **أســاليب توكيد في اللُّغة العربيَّة**. لُبنان: دار الفكر، ص 23-27 بتصرف.

دي سيوسير، فرديناند،(1985م). **علم اللُّغة العام**. ط(1). تر: يوئيل يوسف عزيز، بغداد: دار آفاق عربية للصحافة والنشر، ص 27.

ابن الدمينة (1336هـ). **ديوان عبدالله ابن الدمينة**.(د. ط). شرحه وضبطه السيد محمد الهاشمي البغدادي، طبع بنفقته ونفقة محيي الدين رضا، مصر: مطبعة المنار، ص10.

الزركشـي، بدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر. **البرهان في علوم القرآن**. بيروت : المكتبة العصريَّة ، ج3، صـ 102.

الزركشي، بدر الدين محمَّد بن عبدالله (1958م). **البرهان في علوم القرآن**. ط(1). تح: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيَّة- عيسى البابيِّ الحلبيِّ وشركاؤه ، ج3 ، ص111-112.

سـيبويه، (1988م). ط(3). **الكتاب**. تح: عبدالسـلام هارون ، القاهرة: مكتبة الخانجي،ج1، ص 253- 260.

أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي البصـريّ(1381ه). **مجاز القرآن** . تح: حمد فؤاد سـزكين، القاهرة: مكتبة الخانجي ، ج1، ص334،333 .

العسـكري، أبو هلال(1419ه). **كتاب الصـناعتين(الكتابة والشـعر)**. ط(1). تح: علي محمَّد البجاوي- محمَّد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: عيسى البابي الحلبي، ص 173 .

العمري، عيدة مسبل (1430هـ). **الترابط النصّيّ في رواية النداء الخالد لنجيب الكيلاني**.(د. ط). جامعة الملك مسعود، ص 53.

القزويني، أبو المعالي جلال الدين الخطيب محمَّد بن عبد الرحمن بن عمر(1414ه- 1993م). **الإيضاح في علوم البلاغة**. ط(3). تح: محمَّد عبد المنعم الخفاجي، بيروت: دار الجيل، 2/ 4.

محمَّد، عَزَّة شبل (2009م). **عِلْمُ لُغَةِ النَّصِّ" النظريَّة والتطبيق**. (د. ط). الناشر: مكتبة الآداب، ص 118.

ابن منظور، محمّد بن مكرم بن علي، أبو الفضـل، جمال الدين. **لسـان العرب**. إعداد: يوسـف خياط، ونديم مرعشلي، لبنان- بيروت: دار المعارف. ج9، صـ 40. مادة(حذف).

النجار، نادية مصطفى(2013م). **عِلمُ لُغَةِ النَّصِّ والأسلوب**. ط(1). مصر- الإسكندرية: مؤسسة حورس الدولية، صـ 122.

ابن هشام الأنصاريّ، جمال الدين(2001م). **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**. بيروت: دار إحياء التراث العربيّ، ج2، 2001م، ص 163 .

ابن يعيش، يعيش بن علي بن يعيش بن أبي السرايا محمد بن علي، موفق الدين أبو البقاء بن يعيش الموصلي(1422هـ- 2001م). **شرح المُفَصَّل للزمخشري**. ط(1). قدَّم الدكتور إميل بديع يعقوب، الناشر دار الكتب العلمية، لبنان: بيروت، 111/8.

الرسائل الجامعيّة:

سلامي، سميرة . **شعر ابن الدمينة(دارسة تحليلية)**. رسالة ماجستير، بإشراف: كليَّة الآداب العلوم الإنسانيَّة- جامعة دمشق.

شكوه، آذر نـــژاد(1385هـ). **دِراسةُ مفهوم الانسجام المُعْجَمِيِّ في القرآن الكريم**. أطروحةٌ لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة پيام نور ، صـ 37.

محمَّد بعبت، ولاء أبو المعاطي (1441هـ- 2020م). الغزل بين قيس بن ذريح وابن الدمينة(دارسة فنيَّة تحليليَّة). رسالة ماجستير، بإشراف: أحمد حسين عبد الحليم سهفان، جامعة المنصورة .

محمود، مرشد أحمد سعيد(1990م). **الحذفُ والتقديرُ في القرآن الكريم**. مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في اللُّغة العربيَّة، بهاول بور: الجامعة الإسلاميَّة، ص3.

المجلات:

أحمد عصبة، عبدالله علي (2023م)." **الاستبدال ودلالاته في شعر إبراهيم الحضراني(دارسةٌ نصيَّةٌ)**. مجلة الباحث الجامعي للعلوم الإنسانية، العدد51، 30 سبتمبر.